النظريات البيولوجية في تفسير السلوك الإجرامي (1)

أ . نظرية لومبروزو

وضع العالم الإيطالي"سيزار لومبروزو"Lombrose "1830 – 1909" دعائم هذه النظرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد كان "لومبروزو" Lombroseأستاذاً للطب الشرعي بجامعة"تورين" بإيطاليا وطبيباً في الجيش الإيطالي. فأتاحت خدمته هذه ملاحظة الجنود بصورة عامة، وقد لفت نظره أن الجنود المشاكسين ينفردون بخصائص لم تكن متوافرة في الجنود الوادعين. فالمشاكسون اعتادوا وشم أجزاء من أجسامهم بصور فاحشة وكتابات ماجنة. كما قام بتشريح جثث بعض المجرمين فوجد عيوباً ملحوظة في تكوينهم الجسمي، لاسيما في جماجمهم التي كان بها شذوذ في حجم الجبهة وشكلها الخارجي وكذلك وجد شذوذاً في أسنانهم عند فحصه لهم، وقد كُلف بتشريح جثة قاطع طريق مشهور في إيطاليا يدعى" فيلالا " Viellala فلاحظ وجود فراغ مجوف في مؤخرة جمجمته يشبه الفراغ الموجود في جماجم القرود، كذلك قام بتشريح جثة مجرم يدعى"فرني"Verni ، وآخر يدعى"ميسديا" Misdea .. وغيرهم؛ فآمن بنظرية"دارون التطورية "Darwin Evolution Theory وانتهى إلى القول: أن المجرم شخص فيه صفات موروثة ترجع إلى الإنسان البدائي."1"بمعنى أنه يتميز منذ الولادة بتشويه أو شذوذ، تتمثل في سمات عضوية وصفات نفسية انحطاطية، سماها لومبروزو" وصمات الانحلال"Degenerative Stigmatic."2"ومنها ما يأتي:

\* اختلاف حجم وشكل الرأس عن النمط الشائع في السلالة أو المنطقة التي ينتمي لها.

\* عدم تماثل نصفي الوجه.

\* ضخامة الفك الأسفل.

\* تشوه شكل الأذنين، فهما إما كبيرتان أو صغيرتان أو بارزتان من الرأس بشكل يماثل أذني الشمبانزي.

\* التواء الأنف أو اعوجاجه أو انفطاحه.

\* كبر حجم الشفتين وبروزهما.

\* ضيق الجبين.

\* كثافة شعر الرأس والجسم والحاجبين.

\* انفراج في الأذرع والأقدام.

\* وجود أصابع زائدة في اليدين والقدمين.

\* عيوب في التجويف الصدري.

\* امتلاء الوجنتين وبروزهما، كما في بعض الحيوانات.

كما وجد أن المجرم يتميز بصفات وسمات نفسية وعقلية ومزاجية يرتد بعضها إلى صفات وسمات الإنسان البدائي منها:-

\* القدرة على تحمل الألم.

\* عنف المزاج.

\* الغرر.

\* الاستخفاف بالقوانين والقواعد الاجتماعية ورفض العمل بها.

\* ضعف الوازع الديني.

\* النضج المبكر للغريزة الجنسية.

\* الميل إلى التشاؤم.

\* حب العودة إلى القوانين البدائية.

\* الاندفاع في التصرف.

\* عدم المبالاة والميل إلى الكسل.

\* عدم احترام النساء.

\* عدم السيطرة على النفس، والشعور الدائم بعدم الاستقرار النفسي والعاطفي.

وبعد هذه الاكتشافات، قام "لومبروزو " Lombroseبنشر النتائج التي توصل إليها في كتاب له بعنوان"الإنسان المجرم" عام "1876"، وخلص فيه إلى أن المجرم إنسان بدائي وأنه يولد مجرماً بحكم عوامل وراثية تنتقل إليه عن آبائه فتجعله شاذاً، واستنتج أن شذوذ أعضاء الجسم ينبئ عن طبيعة إجرامية خطيرة، يولد المجرمون بها نتيجة خطأ في سلسلة تطورهم من الإنسان الهمجي أو البدائي، أي أنه كان من الواجب أن يولدوا بحالهم هذه في عصر الإنسان الأول، فشذوذهم العضوي وما يصاحبه من خروج على القانون ما هو إلاًّ ارتداد إلى الإنسان الأول. وأن بعض الظروف الاجتماعية تعطيهم الفرصة لممارسة أعمالهم الإجرامية، وهنا أدخل" لومبروزو" بيئة المجرم وظروفه بوصفها عوامل محركة لنزعاته الإجرامية المترّسبة في داخله والبادية على مظهره، أو مهيجة لجهازه العضوي الداخلي المختل الوظائف، أو مثيرة لحالته النفسية السيئة.

إلاّ أن" لومبروزو " Lombroseلم يقف عند نظريته الأولى بالإجرام الوراثي، فقد حاول إدخال بعض العوامل النفسية والاجتماعية مع احتفاظه بفكرته الأصلية مع المجرمين بالفطرة الذين يمثلون النموذج الحقيقي للمجرم.

وكان لومبروزو في بدء دراسته يعتقد أن المجرمين بالولادة يشكلون جميع المجرمين بنسبة100% تقريباً، ولكنه فيما بعد خفض نسبتهم إلى 40% تقريباً، واعتبره الصنف الغالب بين خمسة أصناف من المجرمين. والأصناف الأربعة الأخرى هم كما سماهم ووصفهم لومبروزو:-"3"

\* المجرمين بالفطرة أو الوراثة"Born Criminals ": وهؤلاء هم ضحايا الجريمة الذين لاسبيل إلى علاجهم أو إصلاحهم.

\*\* المجرمين العاطفيين ""Passion Criminals: ويصدر إجرامهم عن تهور واندفاع عاطفي، ويدخل ضمن هذه الفئة المجرمون السياسيون الذين يصدر إجرامهم أحياناً عن وطنية جامدة.

\*\*\* المجرمين المصابين بالجنون "Insane Criminals": وهم المجرمون الذين يصدر إجرامهم عن نقص عقلي يفقدهم القدرة على التمييز بين الخير والشر.

\*\*\*\* المجرمين بالصدفة أو أشباه المجرمينAccidental or Occasional Criminals : وهم المجرمون الذين يرتكبون إجرامهم تحت تأثير بعض الظروف الاجتماعية القاسية أو لسوء التنشئة الاجتماعية أو التربية السيئة أو تحت تأثير أي عامل نفسي اجتماعي آخر.